

اهتمام مصر بالتطورات في سوريا: نكاية في أنقرة أم حبا في دمشق

حديث عن طرح ملف عودة سوريا للجامعة العربية في اجتماع طارئ يوم السبت



«عملية السلام» التركية ترعب الأهالي في شرق الفرات

خوفا على الأكراد
لا على سوريا

تركيا من وجهة نظر اردوغان لا تغزو أراضي سورية، بل أرض كردية. في المقابل فقد كان الدرس الأميركي مؤلما. فالرئيس ترامب لم يسحب قواته من أراضي الأكراد، بل من سوريا. بسبب الموقف الكردي لم يجد الرئيس التركي الموقف أمامه معقدا. فالأكراد وهم إرهابيون من وجهة نظر تركيا لن يُسمح لهم بأن يكونوا على حدود تركيا. وهو موقف يمكن أن تتفهمه الولايات المتحدة وهي التي لم تقف يوما مع اكراد تركيا في نضالهم القومي.

لقد رحبت تركيا الرهان الذي لم تخسره الولايات المتحدة. الأكراد في كل الأحوال هم الخاسرون. ربما رغبت الولايات المتحدة في إخراج روسيا التي صارت تهمل الكثير من التفاصيل بعد أن قدر لها أن تكون سيده الموقف في سوريا. بالنسبة للروس فإن الأكراد مجرد تفصيل ثانوي، سيكون عليهم التفاوض مع اردوغان في شأنه في أي وقت من غير أن يؤثر ذلك على مشروعهم. المشكلة تخص الأكراد أولا وأخيرا. فلا أحد يفكر بمصيرهم بدلا منهم.

فاروق يوسف

كاتب عراقي

ما الذي دعا ترامب إلى سحب قواته من سوريا؟ ذلك سؤال لم يجب عليه أحد. غالبا ما تقابل قرارات الرئيس الأميركي بالهشمة، لكونها تخلو من المعنى من وجهة نظر الكثيرين. غير أن قرارا من ذلك النوع كان له صدى مباشر. من خلاله صارت الميليشيا الكردية من غير حماية في مواجهة القوات التركية التي بدأت تحركها لإزاحة شبح الأكراد من المناطق الحدودية وهي مناطق تقع داخل الأراضي السورية ولا تملك تركيا حق تحريك قواتها فيها.

تهديد الرئيس الأميركي بتدمير الاقتصاد التركي إذا ما تقدمت تركيا بقواتها داخل الأراضي السورية لا ينفي حقيقة أن قراره كان بمثابة ضوء أخضر لاردوغان بأن يطلق العنان لجيشه تحت شعار ضمان سلامة الأراضي التركية من الإرهاب.

فالأكراد أينما وجدوا هم إرهابيون بالنسبة لتركيا. لا يتعلق الأمر باردوغان بل هو رأي أشبه بالقانون تلتزم به كل حكومة تركية.

ولكن قراءة المشهد سورياً يمكن أن تقود إلى نتائج مختلفة. فلو كانت الولايات المتحدة على شيء من الحرص على سلامة الأكراد السوريين خارج منطقتي حلب وحمص لتعاملت معهم في إطار الدولة السورية بغض النظر عن رأيها بالنظام الحاكم في دمشق.

كما أن الأكراد أنفسهم لو كانوا حريصين على مصيرهم بعيدا عن الصراع الدولي لالتفتوا إلى ذلك المصير باعتبارها جزءا من مصير الدولة السورية التي تبدو عاجزة عن حمايتهم في ظل عزوفهم عن النظر إليها بطريقة جادة.

في أوقات سابقة لعب الأكراد دورا مهما في محاربة الإرهاب وكان ذلك بمثابة تمهيد لانحسارهم بقضية وطنهم غير أنهم بعد التدخل الأميركي وضعوا كل شيء وراء ظهورهم ونهبوا إلى الهامش.

لو كان الأكراد قد أقاموا ففاهمهم مع الأميركيين على أساس وطني سوري لما جرؤ اردوغان على الدفع بقواته في اتجاه أراضيهم التي هي جزء من الأراضي السورية. غير أن وطنيتهم كانت في مكان آخر. هو ما يجد فيه اردوغان سببا معقولا لغزوه.

هذه الخطوة مستقبلا، وتصبح مدخلا لتقويض بعض الأثرع الإيرانية في المنطقة.

تلك مصر مبررات عديدة للتخلي عن انكافها الزائد على الداخل، ورغبة بدت إرهابياتها مع التصعيد المفاجئ ضد إثيوبيا في أزمة سد النهضة مؤخرا، بعد أن أدى تقصيرها في أداء دورها التاريخي في منظومة الأمن القومي العربي إلى زيادة أوجه العجز، ضمن أوجه خلل متباينة، تمثلت في الصمت طويل على رهن إرادة العراق بإيران، و تراكم الأزمات في لبنان، والصراع الساخن في ليبيا واليمن، وانهاك دول المغرب العربي في مشاكلها السياسية.

ساعد الانكماش العربي على زيادة نفوذ ومجوح إيران، ومنح تركيا جارة عالية للدخول والخروج في العراق، وأصبح حلمها الاستقرار في شمال شرق الفرات، وربما العتب بمجموعة من الثوابت الإقليمية التي يمكن أن تصبح ذريعة، حال تكريسها، لقطع أجزاء من دول عربية أخرى من قبل تركيا أو غيرها.

ولذلك تجتهد القاهرة إلى زيادة وتيرة الحوارات العربية والتباحث مع الحلفاء الأساسيين للتوصل إلى طريقة مشتركة للتعامل مع التدخل التركي، لاسيما مع المؤشرات الأولى للتعاطي العربي مع الأزمة كشفت عن تقارب كبير في تشخيصها، ما يفتح الباب على تقارب آخر في آليات التعامل معها، بما يسمح في النهاية بتبني موقف جماعي يمكن البناء عليه لمواجهة أزمات وتسويات إقليمية أخرى.

إدانات عربية

بدا ذلك واضحا من خلال البيانات التي صدرت عن عدوة دول عربية، فقد حذرت السعودية من انعكاسات العملية العسكرية على أمن المنطقة واستقرارها، واعتبرتها "تعد سافرا على سوريا".

وعلى غرار السعودية، أدانت الإمارات، في بيان، العملية العسكرية التركية، وقالت إنها "تطور خطير واعتداء صارخ غير مقبول على سيادة دولة عربية شقيقة". ووصف الرئيس اللبناني ميشال عون، التطور العسكري على الحدود السورية التركية، بالـ "التطور الخطير لمسار الحرب".

وطالبت البحرين مجلس الأمن الدولي بـ "الإسراع في الإضطلاع بمسؤولياته في التصدي لهذه العملية العسكرية، حفاظا على الأمن والسلام". وقالت الكويت، في بيان، إن العملية "تعد تهديدا مباشرا للأمن والاستقرار في المنطقة"، وطالبت كافة الأطراف إلى "الالتزام بضبط النفس والبعد عن الخيار العسكري".

كما عبرت عدة دول في العالم عن قلقها، فيما يعقد مجلس الأمن الدولي اجتماعا الخميس لبحث العملية.

في عهد حكم جماعة الإخوان. لكن ملامح التقارب المعلن اتخذت طابعا هامشيا، غير أنه لا يخلو من مضامين أمنية محدودة، بما يجعل أطر التفاهم في الوقت الحالي على أجندة عملية ليست هينة وتحتمل إلى بلورة رؤية محددة، كما أن غالبية القوى المتحركة في الحل والعقد في سوريا تمتلك القاهرة علاقات جيدة معها.

يبسو المحور التركي السلبي في الحسابات المصرية للآزمة واضحا، ولا يحتاج إلى المزيد من التحليل، لكن من الضروري التشديد على أن الانخراط العسكري التركي في الأراضي السورية بصورة واسعة، يخفف الأعباء عن الساحة الليبية التي ساهمت أنقرة في زيادة تعقيداتها.

استثمار الحدث

بصرف النظر عن الأسباب التي أفضت إلى الانخفاض، وما يؤدي إليه التدخل التركي في سوريا من دخول في مستوى التوتر في شرق المتوسط، فإمام مصر فرصة لاستثمار الحدث التركي من نواح عدة، أبرزها استعادة دمشق للحضن العربي وما تحمله الخطوة من عافية معنوية للأمن القومي العربي في مواجهة إيران التي تصورت أن علاقتها القوية مع النظام السوري لن تترنح.

وهذه الأوضاع يمكن أن تكون ملائمة لسحب دمشق بعيدا عن طهران، ومنح الأولى شبكة أمان عربية بديلة. ويحظى هذا التوجه بقبول أميركي وروسي للحد من نفوذ إيران في سوريا والمنطقة العربية، وهو ما تباركه دوائر إقليمية غاضبة من تصرفات طهران.

ويمكن أن تلعب القاهرة دورا محوريا في دائرة تضم دولاً مختلفة وتحفظ معها بعلاقات تمكنها من البناء على

أعلنت جامعة الدول العربية، في بيان، عقد اجتماع وزاري طارئ، السبت المقبل، بناء على طلب مصر، لبحث العملية التركية شرق الفرات، شمالي سوريا. ويأتي الموقف المصري، مدعوما بإدانات عربية ودولية، ليكون خطوة جديدة للقاهرة نحو تحقيق اختراق مزدوج، من جهة نكاية في تركيا، ومن جهة أخرى لدعم سوريا، التي حافظت القاهرة على علاقات جيدة معها منذ اندلاع الأزمة.

فإن الدلالات الإقليمية التي يحملها نشر الآيات العسكرية وجنود أترك قد تستمر فترة طويلة ستكون إفرازاتها بعيدة المدى، وحتما لها ارتدادات سلبية على القاهرة.

وتفتقر الدول العربية إلى التأثير المباشر في الأزمة السورية لطبيعة تشابكاتها الدولية، غير أن ثمة فرصة مواتية لتغيير جانب من قواعد اللعبة المستمرة منذ سنوات. وجزء من ذلك يقع على عاتق مصر التي دعت إلى عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب في مقر الجامعة العربية السبت.

واستقبلت القاهرة العاهل الأردني عبدالله بن الحسين الخميس، بحكم التفاهات الواضحة بين البلدين في الكثير من مقاطع الأزمة السورية، والتي تجلت في لقاءات سابقة.

لا يتوقع الكثيرون أن يخرج الاجتماع الوزاري العاجل بقرارات تتجاوز حدود التنديد والشجب والرفض للتدخل التركي، لكن من الممكن أن تضخ الدماء في عروق الجامعة العربية التي شاخت في مكانها من خلال تبني إحدى الدول العربية (العراق مثلا) الدعوة إلى عودة سوريا إلى مقعدها في الجامعة.

باتت الأجواء مهيجة لتقبل هذا القرار، عقب رفع دول كثيرة الاعتراض على العودة وفتح سفارات عربية في دمشق، والحصول على ما يشبه الموافقة الجماعية، وعدم ممانعة قوى دولية له، كانت قد ضغطت، حسب كلام سابق لمصدر رفيع بالجامعة لـ "العرب"، لأجل عدم الإقدام على خطوة من هذا النوع منذ سنوات، وكبح الدول التي حاولت التطرق لهذه القضية.

وقفا لتلميحات المصدر نفسه، يكاد يكون "الفيديو" العربي والدولي قد جرى رفعه الآن، وبالتالي أصبحت الفرصة مناسبة للكلام بقوة عن إعادة سوريا إلى مقعدها في الجامعة العربية، وهو حديث لا يجد اعتراضا واضحا في الوقت الراهن، وربما العكس هو الصحيح، حيث ترصد غالبية الدول العربية عدم تحمل مسؤولية ما تقوم به أنقرة في سوريا، وعزل دمشق عن فضائها العربي، وأضعف الإيمان أن تستغل هذا التوقيت لترسيم تحرك مؤجل منذ سنوات.

قد تكون الخطوة رمزية أو بلا فاعلية حقيقية على الأرض، لكنها مهمة في ظل عدم وجود بدائل أو خيارات عسكرية عربية. وتأتي الأهمية من إمكانية منح النظام السوري مشروعية سياسية في هذه اللحظات الحرجة، ودعم موقفه في مواجهة مخططات تركيا ورسمها لخرائط وهمية، فمن المرجح عدم توقف تدخلها عند حدود المنطقة الآمنة، لأن تشييدها بسهولة وبالطريقة التي تريدها أنقرة يؤدي إلى تغيير ديموغرافي تتخطى تداعياته حدود الأكراد في سوريا، وتصل إلى دول عربية متعددة.

أجرت القاهرة اتصالات واسعة خلال الأيام الماضية شملت الكثير من الدول العربية المعنية، بما فيها سوريا. وصححت جملة من الأخطاء التي ارتكبت

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

تنتسب الزوايا الإقليمية والدولية التي يمكن من خلالها قراءة المعاني التي ينطوي عليها التدخل التركي في الأراضي السورية، لكن هناك زاوية يمكن أن تتبلور ملاحظتها في الفترة المقبلة، وتتعلق بدور مصر الإقليمي وتوظيف هذه الأزمة المعقدة في التخلي عن توجهات جامدة، كبتنها والعرب خسائر باهظة.

لم تخف القاهرة غضبها من تصرفات أنقرة في شرق المتوسط وسوريا وليبيا ودعمها لجماعة الإخوان والتنظيمات

وظهرت مؤشرات ذلك في محطات متباينة وصلت إلى حد التعبير عنها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. ولم تخف مصر أيضا تعاطفها مع النظام السوري في مواجهة تحديات تهدد وحدة الدولة، بما يرخي بظلال قاتمة على الأمن القومي المصري، المرتبط تاريخيا بالأمن السوري.

اعتادت القاهرة التعامل مع الأزمات التي تمس مصالحتها الحيوية بحدود شديد، يعترضه البعض غير مبرر. وجعلتها هذه السياسة أحيانا بعيدة عن التفاهات الإقليمية. ربما تكون قد جنبتها في لحظات حاسمة لمواجهة بعض المشكلات، لكن لن تفكفي لدرء الضرر عنها في المستقبل، خاصة عندما تكون قريبة من الطرق على أبوابها.

تدخل تركيا قد يكون، إضافة إلى فرض الأمر الواقع بالنسبة لحاجتها لما تصفه بالمنطقة الأمنية في شمال شرق الفرات، بروفة لها بعدة في ليبيا أو غيرها.

تتجاوز أزمة التدخل التركي في سوريا بالنسبة إلى مصر مسألة إطلاق المزيد من الإرهابيين نحوها، أو الانتقام من الرئيس رجب طيب اردوغان الذي درج على مهاجمتها، وتصل إلى مستوى الفرصة التي يمكن أن تستثمرها القاهرة للخروج من العيباء التقليدية للترتيب السياسي المبالغ فيه، والذي كان مفهوما عندما شرعت الدولة في المللة مؤسساتها وخوض معركة ضارية ضد المتشددین والإرهابيين، تراجعت مخاطرها الآن.

تدخل عاجل

لم تعد التطورات تحتمل الكمون، لأن التدخل التركي قد يكون، إضافة إلى فرض الأمر الواقع بالنسبة لحاجتها لما تصفه بالمنطقة الأمنية في شمال شرق الفرات، بروفة لها بعدة في ليبيا أو غيرها. وإذا كانت هناك حسابات دولية تتجاوز التقديرات المصرية بشأن مصير سوريا،

